

عن الفقر في السعودية

قبل ثلاث سنوات، تناقلت وسائل الإعلام السعودية خبراً يبشّر متابعيها بأن تقديرات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تشير إلى أن نسبة الفقر في السعودية وصلت لـ12.7 في المئة، ما يعني أن «الملكة هي الأقل عربياً في نسبة الفقر». ولم يفت الإعلام السعودي الإشارة إلى أنّ السعودية «تفوقت» في هذا المجال على دولة الإمارات التي تعانى، حسب المصادر نفسها، «من نسبة فقر وصلت إلى 19.5 في المئة». لا داعي للتدقيق في الأرقام ولا للإشارة إلى عدم جديتها. فما قيمة الإعلان عن أن السعودية هي أقل الدول العربية في نسبة الفقر، وهي الدولة العربية الأغنى؟ المفارقة تتمثل في أن يكون واحداً من كل ثمانية مواطنين في السعودية فقيراً.

كان لإهتمام الإعلام السعودي بذلك الخبر سبباً واضح يتمثل بإضافته مبرراً آخر لتقديم صورة الملك عبد الله كملك إصلاحي وصاحب رؤية تنموية تولّد عنها الإعلان عن سلسلة من المبادرات، بما فيها مأسسة الحوار الوطني، وبناء الجامعات، والمدن الصناعية، وتعيين عدد من النساء في مجلس الشورى..

الاعتراف بالفقر

في تشرين الثاني/ نوفمبر 2002 زار عبد الله بن عبد العزيز، وكان ولياً للعهد، عدداً من الأحياء الفقيرة في الرياض، فهاله (حسب الرواية الرسمية) البؤس الذي رآه، فأصدر أمره بصياغة «الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفقر». قبل تلك الزيارة، كان أغلب الحديث عن الفقر يتناول مظاهره في بلدان أخرى يأتي منها المهاجرون. مشاهد الأطفال وكبار السن والنساء الذين يتسولون على أبواب المساجد ومقترقات الطرق في مدينة الرياض وغيرها، هي «ظواهر غريبة واّدة» جاءت مع المهاجرين. كان الحديث عن الفقر بين المواطنين في السعودية وبلدان الخليج العربية الأخرى حديثاً هامساً في الغالب وتحيطه شبهة التحريض. وحتى مظاهر الفقر والعوز التي تحزّ الأعين، يتم تصويرها على أنّها حالات فردية تستحقّ استدعاء اهتمام المسؤولين لمعالجتها أو مساهمات أهل الخير. ورغم ذلك، وحتى الآن، لا تخلو الصحف المحلية ووسائل التواصل الاجتماعي من رسائل تستحثّ المسؤولين وتستجدي أهل الكرم لعلاج مريض أو إغاثة أرملة. ويغلب حتى الآن الإنكار الغريزيّ لحالة البؤس التي تغير عنها صور يجري تداولها في منطديات التواصل الاجتماعي لأمراً في مدينة من مدن الخليج تعهد في صنائيق الرّبالة عما يسعها لإعالة أطفالها.

أعطت زيارة ولي العهد السعودي لأحياء الفقيرة في الرياض إشارة البدء للحديث عن الفقر باعتباره ظاهرة لا يمكن إغفالها أو تجاهلها في بلد يملك أكبر احتياطي نفطي في العالم. ففي بيوت الصفيح في تلك الأحياء، من المعسمة، ومثيلاتها في المناطق النائية من المملكة، يتكدس فقراء، لم تشملهم خيرات العطفة التنظيمية. وفي هذه الأحياء الفقيرة والمناطق المهمّشة، لا يتوافر الحد الأدنى من الخدمات، وبشّير الباحث السعودي الحاذق سامي الدايع في دراسته الهامة الصادرة في 2014 عن «مؤسسة الملك خالد الخيرية» إلى تقديرات غير رسمية بأن «20 في المئة من السعوديين البالغ عددهم 17 مليون نسمة تقريباً يعيشون تحت خط الفقر. وهناك أكثر من 75 في المئة من مواطني الدولة السعودية مديّنين في قروض استهلاكية طويلة الأجل».

13 | الحداثة والريع في العراق:

تجلّى اتجاه الاستعمار الحالي لتدمير الدول والأمم في الحروب على العراق، أما سبيل الخروج من الخراب فلا يكفي فيها «الإصلاح» بل تحتاج لمؤتمر تأسيسي.

هل «طرد الشياطين» من عقول الأطفال في غزّة، دعوة للسبيل القويم أم هيمنة على حياة الناس في ظل الخواء؟ ودور المدن الهامشية في الحراك الاجتماعي الجاري في تونس: سياق لم يقطع.

«وسائل التواصل بوصفها انقطاعاً: عن آثار الهلث خلف «لايك» و«شير». وعلى الموقع: محاكمة مؤسسة «نظرة» النسوية في مصر، وشكيب خليل الفاسد عاد كبطل إلى الجزائر، وندوب الحرب على التلامذة في سوريا.



من تحقيق مصوّر عن الفقر في السعودية (مجلة تائم)

الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفقر

ترافق إعلان الحكومة السعودية عن تدشين «الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفقر»، مع وعود كرهها عبد الله بن عبد العزيز بعدما أصبح ملكاً برؤف مخصصات الميزانية لتمويل الضمان الاجتماعي، ودعم الإسكان الشعبي للفئات المحتاجة، ودعم الجمعيات الخيرية. إذ أنّ حصيلة كل ذلك محدودة حتى الآن. فيعد أكثر من عقد على إعلان تلك الوعود، لا يمكن الحديث عن تقليص جدي لمظاهر الفقر في المدن وضواحيها، ناهيك عن المناطق النائية.

على أية حال، لم تكن الإجراءات التنفيذية للاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفقر ستؤدي إلى إزالة الفقر أو تقليص مستوياته إلى حدود مقولة بحيث تستطيع العائلة الحاكمة في السعودية أن تنبأه بها. فلقد توجّحت تلك الإجراءات للتخفيف من مظاهر الفقر والبؤس وليس إلى إزالة أسبابها. وبين أبرز الأسباب التوزيع غير العادل للموارد والثروات في البلاد، واحتكار القرار السياسي بيد بؤرة الحكم في العائلة المالكة نفسها. وهذاّن السببان وتداعياتهما يعيقان أيضاً حتى محاولات تجميل وجه

النظام السياسي ببرامج تهدف إلى مكافحة مظاهر الفقر وتقليص أعداد الفقراء. وبدلاً من ذلك، تتزايد مؤشرات تصاعد نسب الفقر بأشكاله المتعددة في السعودية جراء القرارات المتتالية التي أعلنت خلال العامين الماضيين لمواجهة عجز الميزانية، والتي أدت إلى إلغاء أو تقليص الدعم الحكومي للمواد الاستهلاكية الأساسية والإنتاج على الخدمات.

خط الكفاية

على الرغم من الصعوبات التي تواجههم، يسعى الإصلاحيون بين النخب السعودية إلى تنبيه المسؤولين فيها إلى خطورة النتائج الاجتماعية والسياسية والأمنية للزيادة المتوقّعة في أعداد الفقراء بمستوياتهم المتعددة.

وفي إحدى المحاولات الجديدة في هذا المجال، طرح ساسي الدايع، وهو أحد الأكاديميين المعتبرين، تطبيق استراتيجية أكثر واقعية لمكافحة الفقر تعتمد على تحقيق ما أسماه «خط الكفاية» (الذي يمكن تسميته «حد الكفاف»). وهي استراتيجية لا تتطلب تغييراً أساسياً في النظام السياسي السعودي ولكنها قد

مدينة الحلة بالعراق: أنا مهرجان للخراب

تتظنّ مدينة الحلة (100 كم جنوب بغداد) إلى الأفق بثلاثة وجوه:

الأول هو الوجه الأثري وتمثله آثار بابل ومقبراتها من جنتان مملّقة، وطبع أقدم الزمن الأقل وبصانته الذي تركته الأجيال متعددة المشارب حيث عاشت أرقّتها وشماشيلها وما يشبه ذلك من طرز عميقة الوضع لغامبات الأنبياء والأولياء والأجداث النذرة للمتصوّفة والبخّيتين الذين قلمنوها ذات يوم، واتخذوا من حوافر شطّ الفرات مكاناً للمؤجدة، وصوامع أهدت لكتب المؤرّخين فيما بعد سلا من جنوح الكرم، وشطحات التفسّلف بالبصير، وهي تجري تحت محابر مدججي كتب الرحلات.

الوجه الثاني، تمثله الأبواب الخلفية للنهارات التي تنفتح على بساطت الأرض، وهي حافلة بالبساتين وصفوف النخيل التي تُسوّر عيون المتلقّفين أبعد من أربعة الأثف وهم يمدون البصر صوب اطرافها.

أما الوجه الثالث، فهو القلب الذي يتوسط بابل الوثنية القديمة، وبابل الأرياف والبساتين. وهو عبارة عن مرافق مدنية وأسواق ومعامل وصولاً إلى تفتّحات معمارية بنيت بالعاقب، وعليها مشربات من فرشاة عمارة المدعّاة العراقية لأصداء أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين.

إيقاع المحيرة

مدينة الحلة، كغيرها من المدن العراقية المثيرة لإغراء التأمّل والكتابة، انعكست صورتها بتكوّيناتها الثلاثة السابقة في جهود أعلامها بمختلف اختصاصاتهم الجغرافية والتاريخية والجمالية والاجتماعية.. ويتقسم هؤلاء الأعلام بين الرواد والبهانة المحدّثين الذين رسموا الأفق الثقافي للمدينة. الدكتور الأثاري طه باقر (توفي 1984) الملقب بـ «قارئ الطين» وهو متخصص بالآثار، أفرّد مؤلفات وكراريبب تنعكس في صورتها بابل بوصفها آثاراً من آثار الحضارة الوثنية، وترثات من الأساطير والأطلال اللغوية القديمة التي أنتجت الطبقات الاجتماعية الموقّعة بالقدم. بموازاة ذلك، ترك لنا الدكتور أحمد سوسة (توفي 1982) كتباً عن الحلة بوصفها جغرافياً ماثية، قارناً إياها فكرّة جارية يبدأ بها كيان جغرافي يعرف بـ«مدن الفرات الأوسط»، إلى جانب الديوانية وكربلاء والنجف، فكتب متحدّثاً عن الحلة الأنهار والبساتين «وادي الفرات»، «جزأين، وسدّة الهندية»، باللغة الإنكليزية). وإذا لقيطه طه باقر قارئ الطين، فهل يمكن تليقيب أحمد سوسة بقارئ العذوية، ولاسيماً أن شطّ الفرات الذي تلام وتصحو بجانبه مدينة الحلة أسمى عدباً فقط في كتب التاريخ والتأمّلات الهندسية والرحلات! ومن الأعلام الدنية أيضاً في الدرس النقدي والأدبي الدكتور علي جواد الطاهر

القبائل وخيل المبيشيات وهم يفتتحون دكاكينهم السياسية ويقدمون للسكان عقاقير الرموز المتوفرة دامتاً في صيدلياتهم الشريرة المكتوب على جبينها «هذا من فضل ربي!» مدينة الحلة اليوم في قطعة مع نفسها وتاريخها، وروحها الحيّة. إلى السراييد المظلمة تم قذفها وميت على جرف شطّها الوادع، عارية إلاّ من آثار كدمات الغتصاب المادية والروحية.

تلك البطاح بين بغداد والحلة

من خلال هذه المدينة تتفرّع دلنا الطرق للنازل إلى بقية مدن الجنوب. وبصورتها التي يطنّ الخراب حولها يمكن لمسها كإحدى البوابات الرميضة وهي تؤدي بك إلى بحبوحة العصور الوسطى وعوالمها الحافلة بمناجذ مختلفة من الديكتاتوريات الروحية الرائعة! إنها اليوم بالضد من هذه الصورة التي جددنا عنها خيال الرحّالة أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير في كتابه الشهير، «رحلة ابن جبير»:

«والطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها، في بساطت من الأرض وعماثر، تتصلل بها القرى يمينا وشمالا، ويشقّ هذه البساطت أغصان من ماء الفرات تتسرّب بها وتسقيها، فمحرتها لا حد لتساعه وانفساحه، فللعين في هذا الطريق مسرح انشراح، وللنفس مسرح انبساط وانفساح، والأمن فيها متصل، بحمد الله سبحانه وتعالى».

الخريطة التي تحدث عنها ابن جبير، هي بالضبط اليوم العنوان والتفاصيل الربعية التي أكلت للارة منذ 2003 بسبب سيطرة ذبأحي القاعدة، ومجلس شوري المجاهدين، وكانت مكاناً لخطوط الزخم الناري البساتين هجرها أهلها وتحولت وسياراتهم الفخخة وبين عناصر الشرطة، وقد خلفت تلك المعارك وحفلات الشواء والتذبح ندوباً جسمية على تلك البطاح بين بغداد والحلة. فكثير من البساتين هجرها أهلها وتحولت إلى سباح تلتّحي بالملح والرياح، وتتنطرح كإسفنجة تمام في داخلها دماء العزائم الأخلاقية والسياسية والاجتماعية. ماذا تقول اليوم هذه المدينة عن نفسها؟ لديها كثير من العويل والصراخ، ولديها ما تصف به نفسها عندما تهدأ: أنا مهرجان للخراب! ولكن صدقتها الطويلة مع الخراب أثمرت أيضاً هباشاً إنسانياً عنيدا، يتحرك اليوم داخل الشوارع الخلفية، شاحبا وضيقا، وهو يقاوم «زمن القتل». هذا العلمش يعي بأنه يعيش داخل مصحة كبرى، تحمّل سميأوه كثيرا من الندوب والتناقضات، وأحيانا دائمة يهدّد البرابرة بتكشيرة ذات نفس طويل من الشناتم.

ميثم الحربي

كاتب من العراق

تخفف من مظاهر الفقر، يشمل «خط الكفاية» الأسر والأفراد الذين لا يستطيعون بمدخلهم وحدها توفير احتياجاتهم الأساسية المتعارف عليها في مجتمعهم، بل يحتاجون إلى دعم إضافي. يقترح اقتراح تطبيق «حد الكفاية» من اقتراح «راتب المواطنة» المطروح منذ سنوات لمعالجة مظاهر الفقر النسبي وعدم المساواة في عدد من البلدان، بما فيها فنلندا وكندا. ويتلخص جوهر الفكرة التي تطرح بتفاصيل مختلفة، في أن الدولة تضمن حداً أدنى من الدخل الشهري الثابت لكل فرد من مواطنيها.

فيما يتعلق بالفقراء، فليس ثمة فرق كبير بين الاقتراحين، رغم أنّ أحدهما يستند إلى كرم الحاكم بينما يستند الثاني إلى حق المواطنين في المساواة.

بحسب تقديرات الدراسة المذكورة، فإن أسرة سعودية مكونة من زوجين وأربعة أطفال تحتاج إلى 3360 ريال سعودي في الشهر، 896 دولار) لكي تصل إلى خط الكفاية. هناك أنّ ثلثي عدد السعوديين والسعوديات الماملين في القطاع الخاص (حوالي مليون ونصف المليون) يتقاضون رواتب شهرية تقل عن الدخل المطلوب للوصول إلى خط الكفاية. وهذا يعني أن توفير



مجرد بازار؟

لو أحسناً الظن، فسنعتبر قضية جزيرتي تيران والصنافير جزءاً من حسبة عامة تحكمها فلوس كثيرة: ودائع ومشاريع كهراء وتطوير بنى ومؤسّسات، واستثمارات وجسور، ونظف وغاز، وحتى هيات لوجه الله.. لو أحسنا الظن، واعتبرنا في النظر إلى الموضوع بؤساً أحوال مصر وانتشار الجوع والفاقة في شعبها، وسابق الفضل والسخاء السعودي، خلال السنوات الثلاث الماضية على الأقل، والإجراء العظيم المتمثّل بـ16 مليار دولار توظيفات ستقدّم عليها السعودية في أم الدنيا، و700 ألف طن يتروّل بالشهر تورده لها، بما قيمته 23 مليار دولار في خمس سنوات (مقبلة)، تُردّ أثمانها بفائدة زهيدة (2 في المئة) وتقسيط مريح (على 15 سنة).

لو، فيمكن أن «نتفهم»، ولو غرضنا الطرف عن السجال حول الوثائق والتاريخ، المستعر منذ الإعلان عن «رد» الجزيرتين «لصاحبهما»، والأيمان المغلّطة للحكومة المصرية وأتباعها حول صحة الملكية السعودية وعيب نكران الأمانة.. لو ابتلعنا كل ذلك، تبقى مسائل لا يمكن تمريرها.. وألها صوت جمال عبد الناصر الملجلج حول مصرية تيران (التي تبعه 6 كلم عن ساحل سيناء الشرقي)، حين أعلن إغلاق مضيقها والسيطرة على خليج العقبة في 1967، فأصبح الحدث يؤرّخ رسميا لبدء حرب 5 حزيران. كان ذلك بوجه إسرائيل، التي ما لبثت أن احتلت الجزيرتين ولم تغادرها إلاّ في 1982، إثر اتفاقية كامب دافيد. وهي كانت فعلت الشيء نفسه في العدوان الثلاثي 1956. وتشير كل الصحف الإسرائيلية منذ أيام إلى موافقة إسرائيل على الاتفاق المصري السعودي، واطمئنانها له، والأنكى، علمها المسبق به (مستشهدة بتأكيدات واردة في صحيفة الأهرام المصرية، ويتصريحات وزير الخارجية السعودي).. وهو العلم الذي لم يتسنّ للشعب المصري الفؤز به، وقد أسقط من كل حساب.

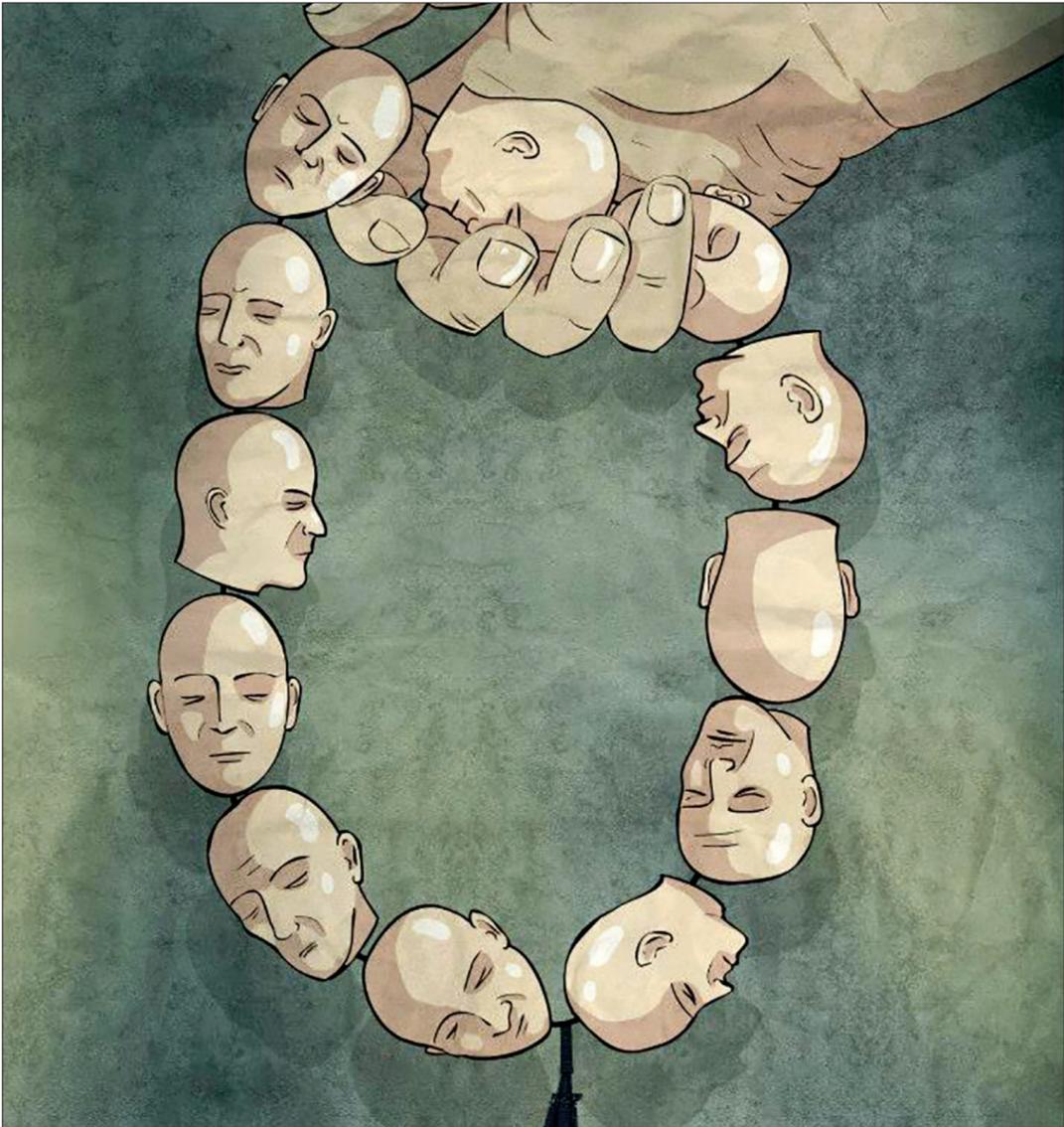
.. ولتاينها ذلك الجسر المخطّط له أن يمتدّ لـ32 كيلومترا فوق البحر الأحمر على علو شاهق، والذي ينوي الارتكاز في أساساته البحرية على الجزيرتين. وهو سيكلف مئات ملايين الدولارات، وسيدمر البيئة والشعاب المرجانية النادرة. وبغض النظر عن رطانة خطب العظيمة حول إعادة وصل آسيا بأفريقيا الخ.. فيظنّ، بلا حسن ظن، أنه نظرا لضعف التبادلات التجارية والبشرية بين البلدين، فوظيفة الفعلية هي النقل السريع للقوات العسكرية المصرية إلى السعودية عند الحاجة، كما انتقلت القوات السعودية إلى البحرين في 2011 عبر «جسر الملك فهد». ألمجرد الإطمئنان النفسي أم هي حروب تليها حروب يخطط لها؟

.. ولو تتخذ هذه القرارات السيادية والاقتصادية والجيوسراتيجية في غلظة من الناس.. فماذا يتبقى لهم؟

نهلة الشهال

11 مليار دولار خسرها «الصندوق الغربي للتقاعد» من احتياطه المالي وأصوله النقدية بين عامي 2014 و2016، في حين رفضت النقابات المركزية تحميل الأجراء والعمال وحدهم مسؤولية إنقاذ صناديق التقاعد التي عانت من الفساد وسوء التدبير والمحسوبة وضعف الرقابة لعقود طويلة.

عندما طردت «حماس» الشياطين من غزّة



سلافة حجازي - سوريا

منذ أيام، في صبيحة السادس من نيسان / أبريل الجاري، استفاق أهالي قطاع غزّة على مشهد فظيع. فقد نشرت إحدى الوكالات الإخبارية المحلية تسجيل فيديو قصيرا يظهر موظفا حكوميا من وزارة الأوقاف الفلسطينية يحاط بمجموعة من الشبان المتحجّين الذين يلبسون الجلابيب، وهو يحطّ في ساحة مدرسة أمام حشد من الطلاب داعيا إياهم للتوبة إلى الله والعودة إلى طريق الحق وترك المعاصي. ولم تكد تضي لحظات قليلة تخللتها عبارات التكبير وأنغام الموسيقى الدينية الحزينة، حتى بدأت طلائع الطلبة الثائنين الذين كانت تنهمر الدموع من عيونهم بغزارة بالتقاطير إلى الموظف وجماعته من المشايخ الشبان الذين كانوا يستقبلونهم بالأحضان. غرق المكان بالعاطفة الحارة، تعالت الأناشيد الحزينة، هم بعض الطلاب بالسجود على الأرض، وأعلن الموظف أن الشيطان طرد شرّ طرده من قلوب هؤلاء الأطفال وأنّ الله ورسوله فرحان بهما أيّما فرحاً!

الأيديولوجيا الخلاصية

الفيديو الصادم للكثيرين انطوى على مستوى غير مسبوق من الإسفاف المزوج بالترهيب. لكنّ المتابع لأخبار القطاع في الفترة الأخيرة يعرف أن وزارة الأوقاف أطلقت مع جمعيّات شبابية سلفية، يغلب عليها الطابع الوهابي، حملة واسعة النطاق تحت اسم «الملتقيات الدعوية»، الهادفة إلى هداية الناشئة وإعادة من ضلّ الطريق منهم إلى جادة الصواب. وفي واقعة أخرى سجّلها أهالي بعض الطلبة في مدرسة ثانية مثلاً، جرى وضع طالب في كفن أمام زملائه في ساحة المدرسة وأهيل عليه بعض التراب لوعظ الأطفال عن أهوال العذاب الإلهي الذي سيحطال الأتقياء الخالية قلوبهم من الإيمان والتقوى! لماذا تُورق الشياطين هؤلاء من «حماس» إلى هذا الحد؟ ولماذا وصلت غزّة إلى هذا المربع البائس؟ وما الذي يعنيه مشهد التوبة والدموع في السياق الأوسع لمآلات مشروع الإسلام السياسي كما جسده الأخوان المسلمون؟

يقوم جوهر مشروع الإسلام السياسي على أيديولوجيا دينية خلاصية تستهدف بناء المجتمع المسلم من خلال الدعوة، ونقله إلى مرحلة جديدة تتجسّد فيها سيادة شرع الله على الناس. من هنا، فقد كانت «الأسلمة» حجر الزاوية في استراتيجية جماعة الأخوان، عبر مؤسسات التعليم والإعلام، مستفيدين من أموال الربيع النفطي والتبرعات لإنشاء اقتصاد خاص عماده المكتبات رخيصة الثمن التي كانت تروّج لنظريات إسلامية في المعرفة والعلوم، كما تجسّد في دخول مناهج «الاقتصاد الإسلامي» إلى الجامعات وانتشار خرافة «العجاز العلمي للقرآن»، في أوساط واسعة من المتلمّذين.

وبالإضافة لذلك، جعل الإسلاميون إضفاء الطابع الإسلامي على تفاصيل الحياة اليومية واحداً من أكبر استثماراتهم، وذلك من خلال الدعوة إلى لبس الحجاب، والتشدد إزاء مسألة اختلاط الجنسين، والعمل لتكثيف السيطرة الرميّة على الفضاء العام عبر إظهار الشعارات الدينية والصور والرايات في كلّ مكان يُمكن الوصول إليه.

الذي جرى في غزّة مؤخراً يُمكن تسجيله من هذا المنظور إذاً كفضل جديد من فصول الاستراتيجية التقليدية الهادفة إلى الأسلمة. لكنّ هذا لا يمنع في الوقت نفسه من التذكير بأن عملية الأسلمة تجري قبل كلّ شيء في سياقات سياسية واجتماعية محدّدة، وأنّ تغير هذه السياقات يأتي مقدّار، أو دخول عناصر جديدة عليها، سيعمل في النهاية على تغيير في وظائف عملية الأسلمة ذاتها.

ضبط المجال الديني

في السنوات الماضية وقع تغييران مهمان، الأوّل أن «حماس» تحولت منذ سيطرت على غزّة عام 2007 إلى سلطة تُدير دُرّيّة من المؤسسات البيروقراطية التي تحفظ الأمن وتجيي الضرائب وتنظّم أحوال الناس

والأخّر «حماس» لم يعد يسعها التراجع عمّا ذهبت فيه، دعوتها خطاب مظلومية جذابا سحبت منها بالكميل مع وصولها إلى السلطة، فلم يكن أمامها للحفاظ على تماسكها سوى إعادة تدوير بضاعتها الدينية القديمة لإرضاء واحتواء هؤلاء الذين خاب إلمهم وأدبهم، وبدأت توازع التمدد على جماعتهم الأم تكبر في نفوسهم يوماً بعد يوم.

نشطت وزارة الأوقاف في غزّة منذ العام 2007 بشكل خاص في عملية إعادة ضبط المجال الديني من خلال إطلاق

الدينيّة المختلفة. وتلك كانت لحظة فارقة لأنّها البداية الفعلية لإفتراق النموذج الحالم الذي جرت تربية الألاف على اعتناقه، عن النموذج الذي بدأ يظهر في الواقع الحيّ. اكتشف مريدو الجماعة مع الأيام أنّ الشريعة لن تطبق، وأنّ جماعتهم النورانية لن تمأ الأرض علا وقسطاً، لأنّ أصحاب الحظوة فيها قد بدأوا باستغلال سلطتهم أبتشع استغلال ليأركموا المزيد من المال عبر جباية الضرائب والانتزاعات في أعمال «البنزين»، والاستيلاء على الأراضي العامة، وتشجيع أنماط استهلاكية جديدة من التذبير، وتحويل العمل الخيري إلى مجرد ستار لكل هذا.

العادات الغربية الداخلية على مجتمعا من ملابس غربية غير ملتزمة وقصّات الشعر الإجنّبية الغربية»، وهي الحملة التي يمكن النظر إليها كصحاولة لجارة الضغوط المتزايدة على الحكومة من قبل قواعد «حماس» الأكثر سلفية لتبني سياسات أكثر تشدداً. وبهذا المعنى، فقد واجهت «حماس» فشل الأسلمة بالزيد من الأسلمة، وراحت هذه العملية تكتسب أكثر فأكثر وظيفة «الميكانيزم الدفاعي» بدلاً من وظيفة التعيينة الموجحة لإستقطاب المزيد من الأنصار التي كانت تقوم بها في السابق.

التغير الثاني كان في التطور النوعي والانتشار الواسع لوسائل التواصل الإلكتروني والرقمي. فقد أدى هذا إلى إحداث صدع كبير في منظومة احتكار مشروع الإسلام السياسي لجزء مهم من عملية إنتاج الخطاب الديني في المجتمعات الإسلامية، بعد أن أصبحت النوافذ على العالم أكثر عدداً وأوسع رحابة، وغدت الأرضية أسهل لنقاش القضايا العامة. وقد أعطت هذه الموجة المستمرة من انتشار الإنترنت في الوقت نفسه الفرصة للمناقشين التقليديين للأخوان أو للجماعات التي خرجت من عباءتهم بغض النظر عن الاتجاه الذي اختطته لإحقا.

منابر كثيرة للترويج لإفكارها وبنها في أماكن جديدة لم تكن تطالها من قبل. وراح فغان التكنولوجيا مع الوقت يجعل من «تعليب» الخطاب الديني في صورة منتجات أثيرية متشخّبة (مثل تغريدة على «تويتر» أو دءاء على «الفايسبوك») عملية أكثر سهولة، وهو ما فتح الطريق لدخول لاعبين جدد إلى الحلبة. فلم تعد الدعوة إلى الله بحاجة الآن إلى علم شرعي أو قدرات استثنائية في الخطابة والبلغ بل إلى امتلاك الإكسسوارات الدعوية اللائمة، والسوق قد أصبح مشبعاً بها تماماً.

ولذلك، فقد كان لافتاً أنّ الحملة الأخيرة لوزارة الأوقاف استلمت بشكل كامل أساليب بعض الدعاة السعوديين الجدد التي ازدهرت خلال العقدين الماضيين، والتي لا تُركّز على مضمون الخطاب الوعظي نفسه بقدر ما تُركّز على «مشهدية» الحدث الذي تجري عملية الوعظ فيه. فالدعاة هنا لا يطرقون أبواب المنازل ولا يلتقون بمريديهم في حلقات المساجد المغلقة، ولكنهم يحشدون الناس في الساحات العامة ليلقوا فيهم خطبا عاطفية تطغى عليها المؤثرات الحسية والبصرية التي تتوسّل كذف الرهبة في قلوبهم تارة واستندار عاطفتهم الحارة تارة أخرى. من هنا، فإنّ التشديد المُضطرد على الأسلمة يعكس في جانب أساسيّ منه رغبة محمومة لجارة المنافسة الشديدة في سوق المنتجات الدينية الكبير الذي تعرضت مراكزه التقليدية للأكل، وأصبح أكثر سيولة وتشعباً، حتّى لو كان ثمن هذه الرغبة اندفاع «حماس» للانفعال على استثمار الأموال والوقت والموارد البشرية، والمزايدة على القوى السلفية الوهابية والتماهي معها في الوقت نفسه في إنتاج خطاب دعويّ رث لتطارد بها شياطينها المخيلة، متغافلة عن سُياطين الفقر والعموز والبؤس التي تُدْمي وجه غزّة وأهلها كل صباح.

رامي خريس

باحث اقتصادي من فلسطين

الهوامش رافعة الحراك الاحتجاجي في تونس

في أوساط الطبقات الوسطى، وعليه، شكلت هذه الاحتجاجات مجتمعة

رأس مال نهائياً سابقا ارتكزت عليه الموجة الجديدة. لكن الأهم من ذلك أنّ هذا الحراك، وقد أعاد للأذكرة سينااريو الحراك الثوري في 2010 / 2011، يؤكد أنّ خراطمة التعبئة في تونس، كما ارتسمت منذ خمس سنوات، ليست عرضية بل هي معطى سياسي، وهو في جوهره انعكاس لتطور في جغرافية الفعل الاحتجاجي كما رسمته أنماط تأطير وهوية الفاعلين في كثير من النزاعات الاجتماعية التي حكمت السنوات الأخيرة لنظامي بوقريبة وبن علي.

إذ دشنت انتفاضة الخبز في كانون الثاني/يناير 1984 التي قامت غداة قرار السلطة آنذاك زيادة سعر الخبز ورفع الدعم عن مواد الاستهلاك الأولية، علامة فارقة عن بداية تطور «سياسة النزاع» في تونس، وبروز فاعل اجتماعي من خارج مؤسسة التأطير الاحتجاجي التاريخية المتمثلة في الاتحاد العام التونسي للشغل، بفعل الإنهاك المتواتر الذي تعرضت له، لا فحسب جراء الضربات المتلاحقة التي وجهت له منذ نهاية السبعينات بل كذلك نتيجة الإجماع التصاعدي لسياسات الخصخصة الاقتصادية التي أضعفت قطاعات عمالية كانت خزائناً بشرياً له. بالتوازي، أفضى التحزير الاقتصادي إلى تآقاف الطوبية في شرائح اجتماعية واسعة، وتعطل أفق الارتقاء الاجتماعي الذي كان يوفره فيما مضى التعليم، وكان لهذه السياسات الاقتصادية الوقع الأكبر في المناطق الداخلية المهشمة تاريخياً والتي ضاعفت سنوات بن علي من معاناتها بتقويض ما تبقى من «الدولة الاجتماعية» فيها.

في الفترة الأخيرة من حكم بن علي، تعاقبت انتفاضات الهوامش التي واجهها النظام آنذاك بالقبح الشديد في محاولة لإخمادها، فكانت انتفاضة مدينة الذهبية الفقيرة والصغيرة في 2007 وهي تقع على الحدود مع ليبيا، ثم انتفاضة الحوض المنجمي في 2008، جنوب غرب البلاد، فانتفاضة مدينة بن قردان وهي الأخرى حدودية، في 2010. سجلت هذه الانتفاضات شكلت مقدمات ما سيحدث في 2011. وهذا يتكرر في 2016 وإن بشدة أقل، ونعني بذلك تشكل الهوامش الحضرية وشبه الحضرية كضياء رئيس للاحتجاج الاجتماعي على الشرخ المناطق الذي تأسست عليه الدولة الحديثة، والتحديث في اطاره نخيها، وكمنتج مركزي لفردات الصراع الاجتماعي، وذلك باستقلالية نسبية عن الأطر التقليدية للتعبئة، الحزبية والنقابية.

جاء رد فعل السلطة على هذا الحراك شاهداً على قوّته، فأمام استحالة إخماده بشكل كامل، لجأت السلطة إلى تطويقها والحد من تأثيره بأن راوحت بين الإجراء والترغيب. أعلن في البداية عن حظر التجول بحجة مواجهة من سمتهم بالخربين المنسدين في صفوف المحتجين، مما أفضى إلى وضع حد للمظاهرات التي رافقت الحراك في أيام ذروته، ثم أعلن عن إجراءات طرفية لتشغيل بعض العاطلين دون كسب نقّة المحتجين. ثم حين أصبح الاحتجاج مقتصرأ على مواقع تسهل مراقبتها، عولت السلطة على كسوفه وإصابة نشاطاته بالإحباط، ففضت الطرف عنه. وهي تبدو الآن في سعي لفض الاحتصامات بالقوة، خاصة أن مقاربتها باء بالفشل.

تخللت بعض هذه الاحتصامات إضرابات عن الطعام أو مسيرات، وهي تشهد على موجة جديدة من الحراك الاجتماعي الاحتجاجي الذي لم ينجح تجريمه أو التعتيم عليه من قبل الإعلام التقليدي، ولا حتى انعدام مظاهر دعمه من قبل «الاتحاد العام التونسي للشغل» في تثبيط عزيمته ونشاطه، وإن تمكّن من فرض بعض العزلة عليهم. ويقطع النظر عن مآلات المواجهة الدائرة اليوم بين السلطة والمعتصمين، فإن هذه الدورة الجديدة من الاحتجاج استطاعت الصمود لأشهر رغم شح مواردها الرمزية والمادية. وهو يكشف في اعتقادنا عن تبلور تطورين رئيسيين تشدهما حلبة الفساد وانسداد الأفق الاقتصادي ورجوع السياسات

الهوامش كمرکز الاحتجاج

لم يكن مفاجئاً انطلاق الحراك من القصرين كما امتداده ضمن جغرافيا الهوامش. فمن جهة، وعلى الرغم من مرور خمس سنوات على الإطاحة بين علي، وعلى الرغم مما لعبته هذه المناطق من دور رئيس في ذلك، وعلى الرغم من الأمال التي علّقها شبابها على إمكانية تحسن حياتهم وتحطيمهم للهشاشة والتهميش واسترجاع كرامتهم وحق مناطقهم في التنمية.. إلا أنّ شيئا لم يتغير. لا بل تعكزت أوضاع فئات واسعة منهم نتيجة تعمق الفساد وانسداد الأفق الاقتصادي ورجوع السياسات الأمنية، فأزاد شعورهم بالغبين، في ظل تداول ست حكومات وعدّت ثم عزجت. من جهة أخرى، تستند الموجة الجديدة على تعبئة وأنشطة جماعية مطلبية واحتجاجية لم تقطع في حقيقة الأمر خلال السنوات الخمس الأخيرة، وإن اختلفت وتيرتها أو تراجع منسوب التعاطف معها

سببيلة، ماجل بلعباس، جديان، سبببة، فريانة، العيون، القصرين، مكناشي، القيروان، جندوبة، توزر، القصور، الدهمان، جينبنة، عقارب، مئزّ بوريان، القطار، تاجروين... هي لن لا يعرف تونس أسماء مدن وبلدات يجمع بينها احتلالها «الجزء السفلي من التسلسل الهرمي لسلم القضاء»، استعارة لتعريف عالم السوسولوجيا «لويك فاكأن» لتعيين وضع النشويين في المناطق الحضرية، كما يوحد بينها في الأشهر الأخيرة احتصانها لحراك اجتماعي عنيد أخذ شكل اعتصامات غير مسبوقه إن من حيث حجمها أو لطول نفسها، ينظمها شباب من المعطلين عن العمل في ممرات الاعتماديات أو الولايات للمطالبة بحقهم في العمل والتنمية لمناطقهم، أو في العاصمة قبالة بعض الوزارات، خصوصاً تلك التي تشرف على التنمية الاجتماعية والاقتصادية، أو في الساحات كما هو الحال مع اعتصام مجموعة من شبان القصرين المرابطين امام وزارة التشغيل في العراق منذ شهرين.

موجة الاحتجاج هذه انطلقت مع منتصف شهر كانون الثاني / يناير الماضي، غداة استشهاد الشاب المعطل عن العمل رضا اليحيوي الذي سقط من عمود كهربائي امام مقر ولاية القصرين كان قد اعلاه احتجاجا على تلاعب مسؤولين محليين بقائمة أسماء شبان من الجهة كان سيتم انتدابهم للعمل. ما أعقب استشهاده رضا أعداد إلى الذكرة الجمعية سيارتي بدايات الثورة في تونس، ففي غضون بضعة أيام، وبعد أن اشتعل فتيل الاحتجاج في مدينة القصرين وخرج الألاف من سكانها، رجلا ونساء – أجمعت بعض المصادر المحلية على أن عددهم فاق من شاركوا في انتفاضة كانون الثاني/ يناير 2011 – تنديداً بالفساد المؤسساتي ومطالبة بالتشغيل والتنمية في جهتهم، عم الحراك مختلف معتمديات الولاية لينتقل بعدها إلى مناطق داخلية أخرى كسيدي بوزيد، قفصة، جندوبة، سبببلة، الكاف... قبل أن يتحول إلى أحياء شعبية في تونس العاصمة ليبلغ بذلك ذروته.

«الوحدة الوطنية» وسائر التكتيكات

زخم الحراك في أيامه الأولى، واتساع رقعة انتشاره بشكل سريع، أضعف شعار «الوحدة الوطنية» الذي رفع في مواجهة الخطر الإرهابي، واعتمد منذ 2013 كحجة رئيسية لشرعية أداء النخب الحاكمة، ما أعاد للسلمة لإحاح المسألة الاجتماعية العالقة في البلد. فكانت المفارقة أنّ

ألفة اللوم

باحثة في العلوم السياسية،
مديرة مكتب International Alert، من تونس

43 في المئة من سكان المغرب في مختلف المحافظات غير راضين عن المساكن التي يقطنون فيها لجهة افتقارها للمرافق الضرورية والمساحات الخضراء، حسب دراسة رسمية لوزارة الإسكان. وتشمل الدراسة السكن المشيد بشكل قانوني فقط، ولا تخص دور الصفيح التي تنتشر بعدد من الأحياء العاشمية في المدن.

وسائل التواصل بوصفها انفصلاً

ما سيلبي ليس موضوعياً، ولم أخضعه لدراسة عميقة أو مقارنة سايرة للأثر والتأثير. ولحي «تقسيم الكؤوس»، هو انحياز للجزء الفارغ من الكأس، لأن الخواء لا الامتلاء هو ما ينذر بتيجر الباقي.

الشاعر الإسباني الأندلسي أنطونيو ماشادو يقول: «يرتسم الطريق أثناء السير فيه». لذا فإن ما سيلبي ليس أكثر من تجربة ذاتية خاصة، تخصني وحدي، خضتها طوال أربع سنوات مع وسائل التواصل والانفصال الاجتماعي. عشتها بكل ما فيها من طراوة النشوة وفضالة الألم. وهي لا تدعي الحقيقة، ولا تسمى لإثبات اطروحة عامة، وليست موجحة لأحد. هي تساؤلات مفتوحة، ظلت تؤرقني فترة ليست بالقصيرة، وددت مشاركتها مع من أراد. وأنا أعاد هذا العالم الفاتن والأسر بكل ما فيه، خوفاً من أن أكون مأسوراً ضمنه. قد يشترك معي فيها البعض، وأما اختلاف الأغلب فهو ما أتوقه بحكم الغلبة وسيطرة هذه الوسائل على العقول والقلوب.

يرعب وجداني أن أكون تحت وطأة عبودية فكرة. فكيف يكون الوضع تحت سلطة وسيلة؟ أتخيل نفسي - وأنا كذلك - ناطراً للعالم برحابته من عين أبرة. وريداً، وجدت أن عين الإبرة تلك غدت هي العالم، ولا أرى بقية إلا من خلالها وعبرها، وبمقاساتها وشروطها. وهكذا، دونما مقاومة، وجدت نفسي تحت تصرف هذه الوسيلة التي لم تكن موجودة في حياتي قبلًا، وسيلة تستحوذ على أمتع ساعات يومي، متعلق بها دائماً، أتحين الفرص لأحتضنها وأمنحها كل اهتمامي بلا تردد، أرحب بكل رسائلها، أحرص على قراءة كل ما تصدره من معلومات، مشدوداً لكل شاردة وعبارة، وهكذا صيرتني كائنًا غريباً.

ويتربق التقدير، كائنٌ مخلوق عن الحياة وهو في الحياة، بيتاع الاستفزاز والسباب المفتوح من مجهولين لا يعرف هل هم بشر بمشاعر وأحاسيس أم برامج رقمية مبرمجة على الإساءة والبذاءة والأذى تارة، وعلى المديح والتمجيد والثناء تارة أخرى. كائنٌ فاقد لحرارة اللحظة وانتيابها الفكرة، محشو ببرودة التكرار وسكون الاعتقاد... مشوه الخيال مشغول البال، لا يملأ ذهنه إلا المزيد من الافتراضات غير المبنية على حقائق. قلت افتراضات، لا هي أقرب إلى ادعاءات.

ادعاءات بالفضيلة، بالعرف، بالإيمان، إجابات تتوالى بلا تساؤل ولا شك، ولا حتى إتاحة الفرصة لتحين لحظة الضرورة، لحظة لإلتقاط الأنفاس، لفهم كل هذا الكم غير المتناسق ولا الترابط بسياق أو نتيجة.

كنت أحاول إقناع نفسي بأن النتيجة هي الوعي، الوعي بالذات والوعي بالجموع، لكنني لم أمس تقدماً في وعي، ولم أفهم الجموع بعد، وزيادة عليهما تعمقت المتاهة: متاهة فرد متختم بصوات غيره، متماد في تمثلات مضللة

لذاته. ومناهة مجتمعات تتفاخر بإعادة إنتاج مخاوفها وعقدتها الطائفية والمذهبية والقبلية.

حل الخوف مكان الحب، واجتاحت المظالم بقعة العدالة المتراجعة أصلاً، أنتهكت خصوصيات البشر، وتراجعت مناسيب الثقة وحسن الظن في الأفكار والشخص. وعوضاً عن تفكيك وفهم كل ذلك، يرفض جهاز القذائف المتعاطف هذا، حتى المراجعة والنقد والتقييم، بل يستمر في انتعاج تقنيات وطرق وغرائب منحازة إلى القوي دون الضعيف، وإلى الجاهل دون العارف. وبدلاً من الحفر عميقاً في معرفة أسباب أي مشكلة تواجهنا، نشغل حواسنا بتلك الرغبة الهلامية من أرقام المتابعين والمعجبين، وعدد إعادات التدوير والمشاركات التي تولد في الداخل ذلك المزيج المتناقض من الزهو والتأثير والتعاليم والتعالي، مع الخوف والخشية من الإهمال والتخلي.

تتناسل التناقضات وراء التناقضات أمام هاتين العينين، ومن ورائهما الدماغ الذي يستقبل كل هذه الإشعاعات بكل حمولتها. قذائف متوالية القصف، قصف الذهن المستسلمة للاستقبال، والأدمغة المتحفزة للاستفزاز والإثارة وليس للتساؤل والتأمل.

كيف باتت هذه الوسائل بوابات مفتوحة للسجون والتعذيب؟ كيف صارت هذه الوسائل سجلات توثق فذاخ الكلام وما تخفي النوايا في الصدور؟

كيف أقنعنا بأنها وسائل تواصل اجتماعي بينما هي إلى الانفصال أقرب؟ انفصال عن الفعل الحقيقي والمؤثر في الميدان، وانفصال عن تحمل مسؤوليات قول الحقيقة.

ثم:

كيف يمكن التعلم بالغمز؟ كيف يتسع التأمل بالانشغال؟ كيف يمارس الحوار بالصراخ المكتوم؟ كيف تحولنا من فكرة الكلام مع بعضنا إلى الفرق في الكلام عن بعضنا؟ كيف استهزأنا بكل شيء، وعلى كل شيء؟ كيف أضحي الواحد منا يفتي في كل شيء، من اقتراح التشكيكية الأنسب لفريق برشلونة لكرة القدم إلى الاقتراح لعلماء الفضاء أفضل السبل لدراسة كوكب عطارد!

كيف ذبلت الروح، وتورمت الأنا دون أن ننتبه لعداثة كهذه. كيف تسربت الأوقات من العمر كتسرب المياه من بين الأصابع. هذه الأصابع التي حلت محل اللسان في التعبير والتقدير وفي ممارسة الجرائم أيضاً.

نعم، وفرت التقنية هذا الكم الوافر والمفتوح والمجاني من الفرص في التواصل والاتصال بالآخرين والتي فتحت سبواً جارفة من كل شيء وعن أي شيء: المعلومات، الأخبار، المعارف، الآلام، السررات، النائم، الإشعاعات، الماهي والماسي... لكن من المسؤول عن بلوغ الحد الذي يفقد فيه

الفرد الشعور بقيمة الروح، وقيمة المادة، وقيمة الزمن؟ وهناك ما هو أكثر من ذلك. وهناك، بدون شك، ما هو أكثر لكي يكون هناك ما هو أقل، كما يقول فوكو.

لم كل هذا؟

ألواجهة الخوف من الوحدة؟ ولماذا الوحدة مرعبة للإنسان إلى هذا الحد؟ الكفاحة الضجر، ضجر الحياة وسأم الوجود؟ أم تنبعاً للمزيد من المعرفة، المعرفة بالحياة وقيم وطرائق العيش فيها والتعايش بين مكوناتها؟ ألا يمكن أن يدرك الإنسان قيم الحق والحب والجمال والعدل والكرامة بلا إزدحام ولا غمر بكل هذه التفاصيل التي تقصفنا بها هذه الوسائل كل لحظة؟

أليست هذه القيم مدركة لديهم وبأبسط الوسائل، أليست هذه القيم مدركة للجموع؛ من عجوز في أقصى قرية جبلية نائية في عمان، إلى الصياد على إحدى شواطئ الكاريبي، إلى مربي الجمال في ثلوج سيبيريا، إلى حرفي السعفيات في إحدى جزر المحيط الهادي؟

أليست هذه القيم مدركة لديهم وبأبسط الوسائل، يمارسونها برفق، وبأقل من كل هذا الضجيج والصخب. لماذا يحتاج البشر إذاً إلى كل هؤلاء الناس؟ ما هو مطلبهم من كل هذه الأفكار والتجارب التي يجترونها ويعيدون لوكلها في كل لحظة.. حتى تبلدت أحاسيسهم أمام مشهد امرأة تذيب، أو طفل يلطفل البحر وحيداً مخذولاً، أو وطن يحتل وتقطع أوصاله، أو فساد يتفاقم كالسرطان في الجسد المستسلم... ثم هم عاجزون عن الرد، وواهنون عن الحركة، وقد ينتقلون إلى مادة فلمية ترفيهية يعد وجبة دسمة من كل هذا، وإن خزتهم ضمايرهم قد يكتفون بتفريده أو يمششور صغير من باب ذر الملح على ذلك الضمير المشغل بأكثر من نافذة والمشغول بأكثر من حوار، وبعد حين سيخمد كل شيء، لأن الكل غارق في لذة التلصص على أفعال الآخرين.

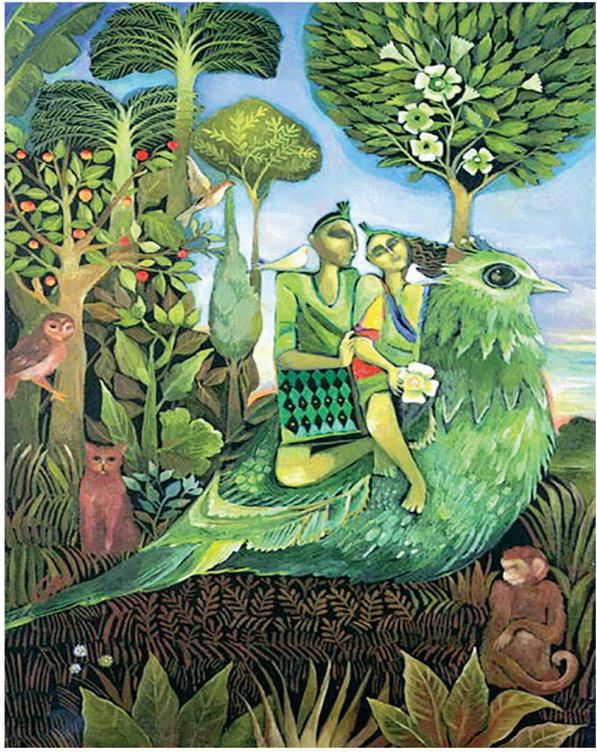
لم نحن مذعورون من سماع صوتنا الداخلي؟ لم هذا الشاشات الصغيرة والنوافذ الكبيرة على العالم وتفصيله الزائدة عن احتياجاتنا؟ لم كل هذا الإصرار على رفض الاستماع لمن هم قريبون منا وأبداهم بتعلق في الهواء والفراغ والجهول، وبشخصيات لا نعرف منها إلا الذي ترغب في في إظهاره وأحياناً ادعائه والتفاخر به؟ أهو سحر المجهول الذي يغلب وفرة المعلوم؟ ربما...

سعید سلطان الهاشمي

باحث من عُمان

سعاد العطار / العراق

حلم..



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»

- مزن حسن: النسوية والتمويل الأجنبي - هدير الهدوي
- بوتظليقة: الفساد والمباهن به والشياطين الخرساء - ياسين تمللي
- الحرب ندية فوق مقاعد الدراسة في سوريا - أيمن الشوفي
- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

في فلسطين: موسيقى في المدرسة

في فلسطين، رغم كل ظروف الاحتلال، ما زالت ترتفع الموسيقى من مكان ما.. هذه المرة من مدرسة مختصة بتعليم الأطفال المكفوفين بالضفة الغربية. يعتمد المعلمون والمعلمات فيها التعليم بوسائل بديلة لتقديمها الموسيقي، لتحفيز حاسة السمع بشكل أساسي، بالإضافة إلى الوسيلة التقليدية التي تعتمد على اللمس (الكتب المطبوعة بطريقة برايل). يؤكد المشرفون أن الموسيقى تحسن المرونة العصبية وقدرة الدماغ على التكيف والتغير، ما يؤدي إلى نتائج أفضل، كما يظهر الطلاب حماساً خاصاً لهذا النوع من النشاطات.

(تصوير: عمار عوض - فلسطين)



مدونات

«ما لي شغل بالسوق»

لطالما فطنت سماع الأغاني بصوت مؤديها الأصلي وبالتسجيل القديم مهما ساءت جودته. الأغاني تملك أرواحاً أيضاً. نقاء اللمعة الغنائية بها. القصّة التي قيلت فيها القصيدة. الأماكن في الفيديو. وأثار السنوات على جودة التسجيل.. كلها من خفايا روح الأغنية. وإن فقدت، تحولت الأغنية إلى كلمات مرتبة بلا معنى.

روح الأغنية هذه هي أيضاً انعكاس لروح الشعوب والحضارات، وتذكرة سفر مجانية تسافر بك عبر الأماكن والأزمنة، فانا عندما أسمع أبو بكر سالم مثلاً أرى يمناً جميلة خالية من الحروب والصراعات، وعندما أسمع «مالي شغل بالسوق»، بصوت حسين نعمة، فانا أسافر عشرات السنين إلى الخلف إلى سوق الشيوخ، أرى أبي طفلاً صغيراً يلعب في الحديقة التي يقف بها حسين نعمة ينتظر حبيبته التي من بالسوق من أجلها. لأخبره أنا الأخرى أنني مالي شغل بالسوق، مزييت أشوفه، عطشانة حفنة سنين، وأرى على شوفه. وعندما أسمع الأغنية بصوت العشرات الآخرين الذين غنوها، أتخيل أنّ حبيبة الطرب تبيع البطاطا بالسوق، فمر بسوق الخضرة من أجل رؤيتها. ويبش الزم الدلال، ببش أسمح العين؟

من صفحة Samah Aziz العراق (عن فايسبوك)

هل هو المحيط الفاسد؟

لا عتب على كلام الذين يمارسون جلد الذات في مقالاتهم عن مجتمعنا المنهار (...). الذين يلومون الأفراد لضعف الأخلاق، فالظاهر واضحة والانحطاط مرتسم على وجوه الفاسدين. والنصائح تأتي بالالتزام بالتعاليم الدينية وبالتقاليد والشرف والأخلاق والثقافة (...). لكنها صفات تبقى محصورة في سلوكيات الأفراد وطرق تفكيرهم وليس في أسباب هيكلية... وليس الانتباه الزائد للأسباب الأخلاقية والفردية محصور في العراق والعراقيين فقد انتشرت في وسائل الإعلام حكاية ذات صلة، والسرد كان حول خبير اقتصادي في دولة أفريقية كثر فيها الفساد، أشار على حكومتها أن ترفع مستوى الدخل للأجهزة الأمنية والموظفين المرتشين بحيث لا تكون حاجة الأفراد للمال هي الدافع والذريعة لقبول الرشوة، وكانت المفاجئة أن المرتشين لم يتوقفوا عن تلقي رشواتهم بعد زيادة رواتبهم بل أصبحوا يطالبون بمبالغ أكبر..

العربي الذي عاش جل حياته في محيط فاسد لا يستمر فساده حين يغادر إلى بلد الهجرة، ولا يبشئ أبناءه في المهجر على الفساد... وبالعكس، فالأميركي أو الأوروبي حين يحل بيننا قد نجده وقد تحول إلى سارق ومرتش وكذاب، والسبب بسيط وواضح: لا يوجد حساب ولا قضاء، وإن وجد فسوف يطبق في الخارج في بلد الأجنبي الأصلي وليس في العراق.. العامل الأهم في سلوكيات الأفراد هو في فعالية مؤسسات الدولة، أي في هيكل المجتمع الذي يعيشون فيه.

من مدونة «فيصل قدي» العراق http://montrealiraqi.com

لم يعرفا

كانا يُمضيان ساعات على العاتف الأرضي، يتحدثن ويضحكان ويتذكران أيام «البلاد»، في التسعين من عمرهما، صديقان وجران في أيام «البلاد» وصديقان وجران في ما بعد البلاد (أي المخيم). بعد أيام البلاد، كلاهما أصيب بسرطان العظام، أحفاد الأول بالاتفاق مع أحفاد الثاني اتفقا على خطة لتجنبهما رعب اقتراب النهاية: الأول يعرف أن الثاني مصاب بالسرطان، والثاني يعرف أن الأول مصاب به، كلاهما يعرفان أنهما معاً مصابان فقط بالتهابات في العظام، يتحدثن عن التهاتبات ما قبل المخيم، فيتفقان أن مجرد الحياة هناك كانت أفضل لقاح ضد الانتهاب ويضحكان. «يا أخي شو هالصدفة أنه أنا وأنت نصاب بالتهاب بالعظام؟» يقول أحدهما للآخر، ثم فجأة يصمتان، ثم فجأة مرة أخرى، يتحدث كلاهما للآخر بمرح وهو مشفق عليه سرّاً لأنه سموت قبله.

بعد أن يغلقا الهاتف، كان الأول يقول لأحفاده: «مسكين السرطان نهش عظامه وهو يفكره التهاب»، وكان الثاني يكرر الجملة نفسها عن صاحبه.

بعد ستة أشهر توفت رنين العاتفين، فقد مات الأول.. عاش الثاني ستة أشهر أخرى، مات بعدها، دفن الثاني قرب الأول تماماً. فيما بعد، استلم أحفاد الأول والثاني فاتورتي هاتفي الجدين...

من صفحة زياد خداهش (عن فايسبوك)